

أَعَاتِبُ فِيكَ الْيَعْمَلَاتِ^(١) عَلَى السُّرَى
وَأُمْسِكُ^(٢) أَحْنَاءَ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى
فَلَمَّا انْتَبَهْتُ جَعَلْتُ أَبْحَثُ عَنْ قَائِلِهَا، وَمَضَتْ عِدَّةُ سَنِينَ، فَاجْتَمَعَتْ بَعْلِي ابْنُ
مُسْهَرٍ وَحَدَّثْتَهُ بِالْمَنَامِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِي مِنْ آيَاتٍ، أَوَّلُهَا:
إِذَا مَا لِسَانُ الدَّمْعِ نَمَّ عَلَى الْهَوَى
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَشِيَّةً وَدَعَتْ
وَأَعْجَبُ مِنْ صَبْرِي الْقُلُوصُ^(٤) الَّتِي سَرَتْ
أَعَاتِبُ فِيكَ الْيَعْمَلَاتِ عَلَى السُّرَى^(٦)
فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا الْإِتِّفَاقِ^(٧).
فَلَيْسَ بِسِرًّا مَا الضُّلُوعُ أَجَنَّتِ
أَنَاحَتْ حَمَامَاتُ اللَّوَى أَمْ تَعَنَّتِ
بَهُودَجِكَ الْمَزْمُومِ حِينَ^(٥) اسْتَقَلَّتِ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّيْحَ إِنْ هِيَ هَبَّتِ

السنة السابعة والأربعون وخمسة مئة

حكى جدِّي في «المنتظم» عن القاضي أبي العباس ابن الماندائي الواسطي^(٨) قال:
في تاسع المحرم^(٩) باض ديك [لرجل يعرف بابن عامر بيضة]^(١٠)، وفاض بازيُّ لعلي
ابن حماد بيضتين، وفاضت نعامة لا ذكر معها [بيضة]^(١٠)^(١١). [قلت: بيض الديك
والنعامة معروف، أما البازي فغريب جداً]^(١٠).

(١) اليعملات جمع، مفردها اليعملة: وهي الناقة النجبية السريعة، انظر «معجم متن اللغة»: ٢٠٩/٤.

(٢) في «الخريدة»: وأطبق.

(٣) في «الخريدة»: جميع.

(٤) القلوص من الإبل: الشابة حتى تنزل. «معجم متن اللغة»: ٦٣٣/٤.

(٥) في «الخريدة»: أُنِّي.

(٦) في «الخريدة»: اللون، وفي «وفيات الأعيان»: النوى.

(٧) انظر الخبر في «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢٧٣-٢٧٤/٢، وهو ينقله عن السمعاني، وفيه أنه رأى منشداً
يشد هذين البيتين، أحدهما: وأعجب من صبري، والآخر: وأطبق أحناء الضلوع.

(٨) هو أبو العباس أحمد بن بختيار المندائي، ويقال: الماندائي، قاضي واسط، توفي سنة (٥٥٢هـ)، وله ست
وسبعون سنة، انظر ترجمته في «المنتظم»: ١٧٧-١٧٨، و«توضيح المشتهب»: ٣١٧-٣١٨.

(٩) في (ع) و(ح): فيها قال أبو العباس الواسطي في تاسع المحرم، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١٠) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(١١) «المنتظم»: ١٤٦/١٠.

وفيهما توفي السلطان مسعود، ووصل الخبر إلى بغداد، فقَبَضَ الخليفةُ على جماعةٍ كانوا ينتمون إلى الأعاجم، ويتسمجون في حقِّ الخلافة بما لا يليق [على المنابر وغيرها] ^(١) مثل أبي النَّجيب السُّهْرَوْرْدِي والحيص بيص [الشاعر] ^(١)، [وأهينا] ^(١)، فأخرج أبو النَّجيب إلى باب الثُّوبي، وضربَ سبعِ دَرَر، ورُدَّ إلى الحَبَس. وكان في [بعض] ^(١) الليالي قد صَعِدَ على سطح النُّظامية وأومى إلى دار الخليفة، وقال: تولي ابن المُرَّخَم على المُسلمين، ما بايعناك على ذا!

وهرب مسعود البلالي شحنة بغداد إلى تكريت، وجلس الوزير في بيت التوبة لعزاء مسعود.

وأمر الخليفةُ ابنَ النظام بأن يذكر الدَّرْسَ بالنُّظامية، ويُخرج مَنْ فيها من الفقهاء أصحابِ أبي النَّجيب، وكانوا يسيئون الأدب، ويستطيّلون بالأعاجم.

وبلغ الخليفةُ أنَّ واسطاً قد عَصَتْ، فخرج إليها بنفسه ووزيره وولي عهده، وسار في [شوال في دَسْتِ الخلافة، ووصل إلى واسط، فأقام بها أياماً، ومضى إلى الحلة والكوفة، وهرب مهلهل بن علي، وزار الخليفة المشهدين، وعاد إلى بغداد] ^(٢).

وغلقت بغداد وضربت القباب، واشتغل النَّاسُ باللَّهْو، وحُطِبَ لولي العهد يوم الجمعة عُرَّةُ ذي الحِجَّة.

وفي المحرمِ فَتَحَ نورُ الدِّين محمود - رحمه الله - حصن أنطُرُسُوسِ عَنوَّة، فطلبوا الأمان على النَّفوس، فأمنهم، وملك عِدَّةً من الحصون منها المَرَقَب ^(٣)، وكان على الإسلامِ منه ضررٌ عظيم. وحجَّ بالنَّاسِ قَيْماز الأَرْجواني.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): وسار في أهبه الخلافة، ووصلها، وأقام بها أياماً، وعاد إلى بغداد في ذي القعدة.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) كذا قال، وهو وهم، إذ لم يذكر أحد ممن أرخ لنور الدين أنه استولى على حصن المرقب، والمعروف أنه بقي في يد الفرنج حتى فتحه السلطان سيف الدين قلاوون، سنة (٦٨٤هـ)، انظر «السلوك» للمقريزي: ج١/ق٢/٧٢٧-٧٢٨.

فصل : وفيها توفي

أُمَيَّةُ بن عبد العزيز بن أبي الصَّلْتِ الأندلسي^(١)

نزل الإسكندرية، وكان شاعراً فصيحاً، فاضلاً، صنَّف كتاب «الحديقة»^(٢)، ومن شِعْرِهِ فِي الأَفْضَلِ ابن أمير الجيوش : [من الكامل]

لا عَرَوَ إِنْ سَبَقَتْ لَهَاكَ^(٣) مدائحي وتدَفَّقَتْ جَدَواكِ مِلءَ إنائِها
يُكْسِي القَضِيبُ ولم يَحِنْ إثمَارُهُ وتَطَوَّقُ الوَرَقَاءُ قَبْلَ غِنائِها^(٤)
وقال : [من الطويل]

إذا كان أصلي من تُرابٍ فكُلُّها بلادي وكلُّ العالمين أقاربي
ولا بُدَّ لي أَنْ أسألَ العِيسَ حاجةً تَشُقُّ على شُمِّ الذُّرى والغوارِبِ^(٥)^(٦)
وقال : [من الطويل]

ورُبَّ قَريبِ الدَّارِ أبَعَدَهُ القَلْبى ورُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ وهو قَريبُ
وما ائْتَلَفَتْ أجسامُ قومٍ تناكرتُ على القُربِ أرواحُ لهمْ وقُلُوبُ^(٧)

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس : ١٨٩/١-٢٧٠، و«معجم الأدباء» : ٧/٥٢-٧٠، و«الكامل» : ١٨/١١، و«تاريخ الحكماء» : ٥٧-٥٨، و«طبقات الأطباء» : ٥٠١-٥١٥، و«وفيات الأعيان» : ٢٤٣/١-٢٤٧، و«المغرب» : ١/٢٦١-٢٦٢، و«سير أعلام النبلاء» : ١٩/٦٣٤-٦٣٥، وفيه تمة مصادر ترجمته. وقد اختلف قول العماد في سنة وفاته، فذكر أنه قرأ في آخر «الحديقة» أنه توفي يوم الاثنين الثاني عشر من محرم سنة (٥٤٦هـ) - وتابعه على ذلك سبط ابن الجوزي - وقرأ في موضع آخر أنه توفي سنة (٥٢٩هـ)، وهو الصحيح فيما ذكر ابن خلكان، وأشار إليه السبط آخر الترجمة إلا أنه صدره بصيغة التمريض. وقد ذكر ابن خلكان أن سنة (٥٤٦هـ) هي سنة وفاة ابنه عبد العزيز.

(٢) هو كتاب «الحديقة في المختار من أشعار المحدثين»، وذكره العماد في «الخريدة» وقال : على أسلوب كتاب «اليتيمة»، وقد نقل عنه ابن سعيد في «المغرب».

(٣) اللها جمع، مفردها اللهية واللهوة : العطية، «اللسان» (لها).

(٤) «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب : ١/١٩١.

(٥) الذرى جمع، مفردها ذروة، وهي أعلى سنام البعير. «اللسان» (ذرا)، والغوارب جمع، مفردها غارب، وهو الكاهل : ما بين السنام والعنق، و«اللسان» (غرب).

(٦) «الخريدة» : ١/١٩٨، و«وفيات الأعيان» : ١/٢٤٤.

(٧) «الخريدة» : ١/١٩٨.

وقال: [من الوافر]

وَيُرْجَعُ مِنْ شِبَابِي مَا أَفَاتَا
ذَوِي غُصْنِ الصَّبَا مِنْهُ فَمَاتَا
وظَنَّ النَّاسُ مِنْ دَمْعِي الْفُرَاتَا
وعن قَلْبِي الْمُعْتَى كَيْفَ بَاتَا
وَأَحْيَا أَعْظَمِي الرَّقْمِ الرُّفَاتَا^(١)

وقال يمدح يحيى بن تميم بن باديس: [من السريع]

يَوَدُّ لَوْ ذَاقَ الرَّدَى فَاسْتَرَاحَ
خَلَّتْ لَهُ جَارِحَةٌ مِنْ جِرَاحِ
جَوَانِحُ تَخْفُقُ خَفْقَ الْجَنَاحِ
عَاوَدَهُ ذَكَرَ حَبِيبٍ فَنَاحِ
يَرْكُضُ بِي طَرْفٍ^(٢) شَدِيدِ الْجِمَاحِ
كَانَ لَهَا صَبْرٌ جَمِيلٌ وَطَاحِ
وَوَارِثِ الْمَجْدِ الْقَدِيمِ الصُّرَاحِ
بِالْجَدِّ مِنْ أَمْرِكَ لَا بِالْمُزَاحِ
مِلْحُ أَجَاجٍ وَزُلَالِ قَرَاحِ
فِي مَوْقِفِ مُشْتَجِرِ بِالرِّمَاحِ
مُنْعَلَّةٌ أَرْبَعُهُ بِالرِّيَاحِ
وَبُرْقَعَتُ غُرَّتُهُ بِالصَّبَاحِ^(٣)

أَيُخِيي الدَّهْرُ مَنِّي مَا أَمَاتَا
وَمَا بَلَغَ الْفَتَى الْخَمْسِينَ إِلَّا
بَكَيْتُ عَلَى الْفُرَاتِ غَدَاةً شَطُوتَا
أَسْأَلُ عَنْ جُفُونِي كَيْفَ أَضَحْتُ
أَمَا لَوْ عَادَنِي لِأَعَادَ رُوحِي

صَبُّ بَرَاهِ السُّفْمِ بَرِّي الْقِدَاحِ
لَمْ يَرِمِ الْوَجْدُ حَشَاهُ وَلَا
لَهُ إِذَا آنَسَ بَرَقَ الْجَمِي
وإن شَدَّتْ وَرَقَاءُ فِي أَيَكَةِ
أَصْبَحْتُ فِي حَلْبَةِ أَهْلِ الْهَوَى
وَفِي سَبِيلِ الْحُبِّ لِي مَهْجَةٌ
يَا بَنَ الْمَلُوكِ الصَّيْدِ مِنْ حِمِيرِ
لِيَهْنِكَ الْجَدُّ الَّذِي نَلَّتَهُ
مَزَجْتِ بِالْبَاسِ النَّدَى وَالثُّقَى
كَمْ مَنَهَلٍ مُطَّرِدٍ بِالرَّدَى
أَوْرَدْتَهُ كُلَّ سَلِيمِ الشَّظَى
كَأَنَّمَا سُرِبَلُ جُنْحِ الدُّجَى

وقال في الشمعة: [من الطويل]

فَتَبْكِي لِهَجْرِي أَوْ لَطُولِ بَعَادِ
وَفِيضِ دَمُوعٍ وَأَتِّصَالَ سُهَادِ^(٤)

وَنَاحِلَةٍ صَفْرَاءَ لَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى
حَكَتَنِي نُحُولًا وَاصْفِرَارًا وَحُرْقَةً

(١) «الخريدة»: ١٩٨/١ .

(٢) الطَّرْفُ، بالكسر - من الخيل: الكريم والعتيق. «اللسان» (طرف).

(٣) «الخريدة»: ٢٠٨-٢٠٩ .

(٤) «الخريدة»: ٢١٣/١ .

وقال في الرزق: [من الطويل]

وقائلة سرّ وابتغ الرزق طائفاً
فقلت دعيني ربّ ساع مخيب

وقال: [من الطويل]

رمتني صروف الدهر بين معاشر
وما غربة الإنسان في بُعد داره
وقال، وكان قد حبس: [من الطويل]

ولو لم أكن حرّ الخلائق ماجداً
وما مرّ بي كالسجن فيه ملمة
أظنّ الليالي مبقياتي لحالة
وإلا فما كانت لتبقي حشاشتي
وكم شامت بي أن حبست وما درى
متى صفت الدنيا لحرّ فأبتغي
وهل هي إلا دار كل ملمة

وأحسن ما قال: [من الطويل]

سكنتك يا دار الفناء مصدقاً
وأعظم ما في الأمر أنني صائر
فيا ليت شعري كيف ألقاه بعدها
فإنك مكجزياً بذنبي فإني
وإن يك عفوتم فضل ورحمة

توفي في سنة ست وأربعين، وقيل: سنة تسع وعشرين وخمسة مئة.

فإنك فيما لا يفيد لطائف
ولله في كل الأمور لطائف^(١)

أصحهم وداً عدو مخاتل
ولكنها في قرب من لا يشاكل^(٢)

لما كان دهرى ينطوي بي على ضغن
وسرّ من السجن المصاحب في السجن
تبدل فيهما حالتي هذه عنّي
على طول ما ألقى من الذلّ والعبن
بأن حساماً صين حداه بالجفن
بها صفو عيش أو خلواً من الحزن
أمض لأحشاء الكرام من الطعن^(٣)

بأنّي في دار البقاء أصير
إلى عادل في الحكم ليس يجور
وزادي قليل والذنوب كثير
بحرّ عذاب المذنبين جدير
فتمّ نعيم دائم وسرور^(٤)

(١) «الخريدة»: ٢٣٩/١ .

(٢) «الخريدة»: ٢٤٨/١ .

(٣) «الخريدة»: ٢٥٥/١ .

(٤) «طبقات الأطباء»: ٥٠٣-٥٠٤ ، و«وفيات الأعيان»: ٢٤٦/١ .

حيدر بن محمد بن الحسن، أبو الرضا العلوي^(١)

من أعيان العلماء، وأكابر الفضلاء، عاش تسعين سنة، وكان أشعر أهل زمانه، فحاز على شعره بألف دينار، ومن شعره: [من السريع]

ليت نسيماً رَقَّ قد رَقَّ لي مَّا بقلبي الهائم المُرَمِّمِ
فأخبر الظَّاعِنَ عن قاطنٍ وبلَّغ المُنَجِّدَ عن مُثَمِّمِ
لا خَصِصْتُ أزدانهُ سُحْرَةً مِنْ سَيْبِ وادٍ مُثْرَعِ مُفْعَمِ
ولا هفا وهناً على زهرة أو أقحوانٍ طيبِ المنَمِّمِ
إن لم يُبلِّغ سَهْرِي مُسْهْرِي أو لم يَصِفْ سُقْمِي للمُسَقِّمِ

محمد بن نصر، أبو عبد الله، العكاوي^(٢)

ويقال له ابن صغير، القيسراني الشاعر [ذكره الحافظ ابن عساكر، والعماد الكاتب في «الخريدة»، وأبو سعد بن السمعاني في «الذيل»]^(٣).

ولد بعكا [في]^(٣) سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مئة، ونشأ بقيسارية الساحل [فلذلك تسمّى بها]^(٣)، ولما استولت الفرنج على الساحل انتقل إلى حلب ثم [أتى]^(٣) إلى دمشق [فأخذ الأدب عن توفيق بن محمد]^(٤).

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٢٣٠-٢٣١/١٣، وفيه وفاته سنة (٥٥٤٨هـ).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨، و«الأنساب»: ٢٩١/١٠، و«التحبير»: ٢٤٤-٢٤٢/٢، «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٧-٤٨/١٦، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٩٦-١٦٠/١، و«معجم الأدباء»: ٨١-٦٤/١٩، و«كتاب الروضتين»: ٢٩٣/١ - وقد أورد له أبو شامة مقطعات طويلة من شعره - و«وفيات الأعيان»: ٤٥٨-٤٦١/٤، و«تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني: ٢٤١-٢٤٤، و«الوافي بالوفيات»: ١١٢-١٢١/٥، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢٤-٢٢٦/٢٠، وفيه تنمة مصادر ترجمته. ووفاته على الصحيح سنة (٥٥٤٨هـ).

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) هو توفيق بن محمد بن الحسين ابن زريق الاطرابلسي الدمشقي، كان شاعراً نحويّاً، وله معرفة بالحساب والهندسة، توفي سنة (٥١٦هـ) بدمشق، انظر ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٥٥٥-٥٥٦، و«معجم الأدباء»: ١٣٨-١٣٩/٧، و«إنباه الرواة»: ٢٥٨/١، و«الوافي بالوفيات»: ٤٤٨-٤٤٩/١٠، و«وفيات الوفيات»: ٢٦٥-٢٦٦/١.

قال الحافظ ابن عساكر: كان ابن القيسراني يتولى^(١) عمل الساعات التي عند باب جيرون [على]^(١) الدَّرَج، وبلغ شمس الملوك أنه هجاه، فتنكَّر له، فهرب إلى حلب^(٢). ومدح نور الدين محمود، وجمال الدين الوزير [الموصلي]^(١) ومجير الدِّين أبق وغيرهم [من الأعيان وغير الأعيان]^(١)، وديوانه مشهور، وعاد إلى دمشق، فتوفي بها في صفر، ودفن بباب الفراديس.

وقال ابن القلانسي: وصل الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن صغير القيسراني الشَّاعر من حلب [يوم الأحد الثاني عشرة من شعبان سنة]^(٣) ثمان وأربعين وخمسة مئة إلى دمشق، فاستدعاه^(٤) مجير الدِّين، فحضر مجلسه، وأنشده قصيدة حسنة [مقيدة، فأجازه]^(١)، ووصله أحسن صِلَة، واتفق له حُمَى حادَّة، وتبعها إسهالٌ مُفرط، فقضى نحبه يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان [هذه السنة، وكان أديباً، فاضلاً، شاعراً، مترسلاً، بليغ النُّظم، مليح المعاني، وله يد قوية في علم النُّجوم والأحكام وحفظ التواريخ، وكان بينه وبين أبي الحسين أحمد بن منير مشاحناتٌ على قديم الزَّمان، فماتا على ذلك، وبينهما في الوفاة مدة يسيرة]^(٥).

ومن شعره يمدح الوزير جمال الدِّين محمد الموصلي: [من الكامل]

ليَتِ القلوبِ على نظامٍ واحدٍ	ليذوقَ حرَّ الوجودِ غيرَ الواجدِ
ما زالَ صرْفُ الدَّهرِ يقصِدُ همَّتي	حتى صرَفْتُ إلى الكرامِ مقاصدي
وإذا الوفودُ إلى الملوكِ تبادرتْ	فعلى جمالِ الدِّينِ وفدُ محامدي

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٧/١٦.

(٣) في (ع) و(ح): من حلب في سنة ثمان وأربعين وخمس مئة إلى دمشق يوم الأحد الثاني عشر من شعبان.

والعبارة مضطربة قومناها من «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

(٤) في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨ باستدعاء مجير الدين له.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٩٨.

حتى يُرى المقصودُ مثل القاصِدِ
 للمُعْتَدِي وشريعةً للواردِ
 هيهاتَ كم لمحمّدٍ من حامِدِ
 ترقى السُّها بجناحٍ جدّ صاعِدِ
 أفرائدي من لم يَفْزُ بفرائدي؟
 حُبُّ العُلا فلقد وَرَدْتُ مواردِي
 أعدَدْتُ قَصْدِي من أَجَلِ قِصائِدِي
 وكأنّني قُلِدْتُ بعضَ قلائِدِي
 أبدأً وحُسْنُ الظَّنِّ عندك رائدِي^(١)

أو لعينٍ ما تذوقُ كَرِي
 ما قضى في حُبِّكُمْ وطَرَا
 أنكرتُ عَيْنِي له القَمَرَا^(٢)

وقال يمدح بني الصُّوفي [وقد بنوا] بهواً وبركةً فيها شاذِروان^(٣): [من المديد]

طائفاً بالبيتِ مُعْتَكِفا
 مِنْ أَيْدِيكُمْ ومُعْتَرِفا
 أَنْ يَرُودَ الرُّوضَةَ الأُنْفا
 وصفاً تَحْبِيرُهُ وَصَفا
 لا يرى طَرْفَ لها طَرْفا

يَلْقَاكَ فِي شَرْفِ العُلا متواضعاً
 أُمْنِيَّةً لِلْمُعْتَفِي وَمَنْيَّةً
 لا تَحْسِبُوا أَنِّي انْفَرَدْتُ بِحَمْدِهِ
 مَجْدٌ عَلَى عرشِ السَّمَاكِ وَهَمَّةٌ
 أنا روضةٌ تُزْهِى بِكُلِّ عَجِيبَةٍ
 إن ساقني طَلَبُ الغِنَى أو شاقني
 ومتى عددتُ إلى نَدَاكِ وسائلي
 حتى أعودَ من امتداحك حالياً
 ما كانت الأَيامُ تُخَلِّفُ مَوْعِدِي
 وقال أيضاً من شعره: [من المديد]

مَنْ لِقَلْبٍ يَأْلَفُ الفِكرَا
 وَلصَبِّ بِالغَرَامِ قِضَى
 وَيُحَ قَلْبِي من هوى قَمَرِ

يا بني الصُّوفي زَرْتُكُمْ
 فرأيتُ الغيْبَ مُعْتَرِفاً
 من رأى أخلاقَكُمْ أنْفا
 ذاتُ بهوٍ مَنْ أَلَمَّ بها
 عاقد في الجوّ منطَقَه

(١) انظر القصيدة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٠٣/١-١٠٦.

(٢) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ٤٧/١٦.

(٣) الشاذِروان: هو ما ترك من عرض الأساس في البناء خارجاً، ويسمى التأزير. انظر «معجم متن اللغة»:

٣/٢٩٤، و«شفاء الغليل»: ١٦٣، وما بين حاصرتين زيادة من عندنا لتستقيم العبارة.

تَوَجُّوها ما به شَرُفا
ظَيَّرُ شاذِرَوا نَها هَتَفا
هَفَّ مِنْ شوقِ إِلَيه هَفا

وقال: [من الطويل]

عليكُم إذا بَرَقَ العقيقِ تَأَلَّقا
ورُبَّ نعيمٍ كان جالبَه شقا
وأفَرَقُ إن قلبي من الوجودِ أفرقا
بمُعْتَرَكِ الذِّكري وصالاً ومُلْتقى
فحِيٍّ وأما سَلَوْتي فلكَ البقا^(١)

طال إشرافاً فحين سما
من أنابيبَ تَميِسُ إذا
مُعَرِّمٌ بالبَهُوِ فَهُو مَتى

ولي زَفَرَاتُ تَسْتَهَلُّ صبابَةً
أَلِفْتُ الهوى حتى حَلَّتْ لي صرُوفُهُ
الذُّبما أشكوه مِنْ أَلَمِ الجوى
وأذْهَلُ حتى أَحْسِبُ الصَّدَّ والجفا
فها أنا ذو حالينِ أما تَصْبُري

وقال في دمشق: [من البسيط]

بحيثُ تَجْتَمِعُ الدُّنيا وتَفْتَرِقُ
على حدائقها الأسماعُ والحَدَقُ

أرضٌ تُحاكي الأمانى مِنْ محاسِنِها
إذا شدا الطَّيْرُ في أعضانِها وَقَفَتْ

وقال: [من البسيط]

رُدُّوا فؤادي على جُثمانِي البالي
ما كان صَرَفُ النوى منكم على بالي
نوائِبُ أَرَحَّصَتْ من دَمَعِي الغالي
لما صرُفْتُ إِلَيْكُمْ وَجَهَ آمالي
وَجَدَأُ أَلَا فاعجبوا للعاشقِ السَّالي
إن أنتَ لم تَرَ حالي بعد ترحالي
ضلالةُ القَلْبِ في أكنافِ ذي ضال
فالدَّمْعُ دَمَعِي والأطالُ أَطالِي^(٢)

يا أهلَ بابلَ أنتمُ أصلُ بِلْبالي
لا، واعتناقِ هواكُم بعد فُرْقَتِكُم
وإنما اعترضتُ بيني وبينكُم
لولا مكانُ هواكُم مِنْ محافظتي
سَلَوْتُ عن غيركُم لَمَّا عَلِقْتُ بكم
فانظُرْ إلى عَبراتي بَعْدُ بَعْدِهِم
أقول للائمِ المُهْدِي ملامتَهُ
دَعْنِي أَفْضَ شؤوني مِنْ معالمِها

(١) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ١٢٥/١.

(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١٣٤-١٣٥.

وقال أيضاً من شعره: [من الرمل]

وبأكنافِ المُصَلَّى جِيرةٌ وشغلوا كلَّ فؤادي بهوى
ما عليهم لو أباحوا في الهوى وقال في وصف مغني: [من البسيط]

والله لو أنصفَ الفُثَيانَ أنفُسَهُم ما أنتَ حينَ تغني في مجالسهم
إلا نسيماً الصِّبا والقومُ أغصانُ^(١)

وولده الموفق^(٢) فأق أبناء جنسه في حُسن الخطِّ، وتقلد ديوان الاستيفاء^(٣)
نور الدين محمود بن زُنكي، وتقدّم عنده تقدماً زائداً بحيث فوّض أمره إليه، وكان
يقف ببابه بعضُ ممدوحِي أبيه، ويسترفدونهُ، فيستحي، فيتَّبِعُ شِعْرَ أبيه الذي في أيدي
النَّاسِ، واجتهد أن يُسَقِّطَ منه المدائح، فلم يقدر لانتشاره، ومدَّحهُ الحسين بن
عبد الله بن رواحة^(٤)، فقال: [من الطويل]

دَعَوْتُكَ مُشْتاقاً لَنَيْلِ صَنيعَةٍ فكنتَ إلى بَدَلِ الصَّنائعِ أشوقاً
وكم عُقْدٍ حُلَّتْ بِعَزْمِكَ لم تكن تُحَلُّ بِعَزْمٍ من سِواكَ ولا رُقى
تفاءلَ نورُ الدِّينِ بِاسْمِكَ مِثْلما هوى منك نَعْتاً في الأمورِ مُحَقَّقاً
فأصبحَ نورُ الدِّينِ في المُلْكِ خالداً كما كان في الرأْيِ السَّعيدِ مُوقِّفاً^(٥)

(١) «الخريدة»: ١١٩/١ .

(٢) له ترجمة في «بغية الطلب»: ٣٠٩٦-٣١٠١/٧، و«العبر» للذهبي: ٢٦٦/٤، و«تكملة إكمال الإكمال»: ٢٤٤-٢٤٦، و«الوافي بالوفيات»: ٢٨٢-٢٨٣/١٣، وقد ساق أبو شامة في «كتاب الروضتين» بعض أخباره مع نور الدين، وقد توفي سنة (٥٨٨هـ).

(٣) في (ع) ديوان الإنشاء، وفي (ح) ديوان الاستيفاء، وفي «بغية الطلب»: ٣٠٩٦/٧: جمع في ولايته بين الإنشاء والاستيفاء.

(٤) شاعر فقيه، ولد بجماعة سنة (٥١٥هـ)، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق، وسمع فيها من ابن عساكر، ثم رحل إلى مصر، وأثناء عودته منها أسرهُ نورمان صقلية، وبقي في أسرهم مدة، ثم عاد إلى حماة، ثم سافر إلى مصر، وأقام بها في ظل صلاح الدين، وقد استشهد في سهل عكا سنة (٥٨٥هـ)، انظر ترجمته في «كتاب الروضتين»: ٩٧/٤، وذكرت ثمة مصادر ترجمته.

(٥) الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٤٨٥-٤٨٦/١ .

[فصل : وفيها توفي] ^(١)السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكِ شَاهٍ ^(٢)

[كما ذكرنا، وقد ذكرنا سيرته مفرقة في السنين، و] ^(١) لم ير أحدًا ما رأى من الملوك والسلاطين، فلما كان في هذه السنة مريض على همدان بأمراضٍ حادة، وعسرت مداواته، فتوفي [في] ^(١) سلخ جمادى الآخرة، وكانت أيامه نيفاً وثلاثين سنة، وسمع الحديث [من أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيره] ^(١).

ولما مات اجتمع رأي الأمراء على تقرير ملك شاه بن محمود بن محمد ابن أخي مسعود، وكان مقدّم العساكر والمشار إليه خاصبك بن البلنكري، فأجلسوا ملك شاه ثلاثة أشهر، وقيل: خمسة، ثم عنّ لخاصبك أن يقبض عليه وعلى أخيه محمد بن محمود، وينفرد بالملك لبعد سنجر عنه، فقال لملك شاه: إني أريد الملك لك من غير منازع، وأخوك ينازعك، والمصلحة أنني أقبض عليك وأكتب إلى أخيك، فإذا وصل قبضت عليه، وسلمته إليك. فقال: افعل. فقبض عليه، وكتب إلى محمد وهو بخوزستان يدعوه إلى السلطنة، فجاء إلى همدان، فجلس على التخت، ودخل الناس يهتونه، ويخاطبونه في أشياء، فقال: مالي في هذا الأمر شيء، حديثكم مع الأمير خاصبك، فهو الوالد، والكل تحت يده. وقدّم له خاصبك من المال والخيول والمماليك والخدم والجواهر شيئاً كثيراً، وأقام بهمدان أياماً، وبلغه ما في نفس خاصبك من التدبير عليه، فاستدعاه وزنكي الخازندار ^(٣)، وشملة التركماني وهو في أعلى قصر المملكة، فلما صعدوا درج القصر أحسّ شملة بالشر، فقال لخاصبك: ارجع، فما هذه علامة خير. فلم يرجع، فلما حصلوا في بعض مضايق القصر أخذتهم السيوف،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٥١/١٠، و«مختصر دولة آل سلجوق»: ١٥٢، ١٦١ و١٩٦ و٢٠٨، و«الكامل» لابن الأثير: ١٦٠/١١، و«كتاب الروضتين»: ٢٨٦-٢٨٧/١، و«وفيات الأعيان»: ٢٠٠-٢٠٢، و«العبر» للذهبي: ١٢٧/٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٣٨٤-٣٨٦/٢٠، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع) و(ح)، ومثله في «المنتظم»، وفي «مختصر دولة آل سلجوق»: ٢١٢، و«الكامل»: ١٦٢/١١ الجاندار، وهو الصحيح.

فَقَتِلَ خَاصِبِكِ وَالخَازِنْدَارَ وَهَرَبَ شَمْلَةَ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَرَمَى بِرَأْسَيْهِمَا، وَأَكَلَتِ الْكَلَابُ لِحَوْمَهُمَا، وَاسْتَوْلَى مُحَمَّدٌ عَلَى أَمْوَالِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَمَمَالِكِهِمَا، وَكَانَ فِيمَا أَخَذَ مِنْ خَاصِبِكِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ ثَوْبٍ مِنَ الْأَطْلَسِ، وَثَلَاثَ مِئَةِ مَمْلُوكٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ فَرَسٍ، وَمِنَ الْبِخَاتِيِّ وَالخَيْمِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُحْصَى، وَمَعَ هَذَا جَبُّوا لَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ كَفَنًا كَفَّنُوا بِهِ مَا بَقِيَ مِنْ جُثَّتِهِ مِنْ فَضْلَةِ الْكَلَابِ.

وَخَاصِبِكِ أَوْلَاهُ تُرْكَمَانِي، كَانَ صَبِيًّا أَمْرَدًا، فَأَحَبَّهُ مَسْعُودٌ حُبًّا شَدِيدًا، وَقَدَّمَهُ عَلَى أَمْرَائِهِ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَمْلَكَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا بَعَثَ بِالرُّأْسَيْنِ إِلَى أَتَابِكِ إِيْلِدِكْزِ صَاحِبِ أَدْرَبِيْجَانِ، وَإِلَى آقِ سُنُقُرِّ صَاحِبِ مِرَاعَةَ، فَارْتَاعَا، وَنَفَرَا مِنْ مُحَمَّدٍ، وَبَعَثَا إِلَيْهِ يُوْبَّخَانَهُ وَيَقُولَانِ: إِذَا كُنْتَ عَدْرَتَ بَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَمَلَّكَكَ، فَكَيْفَ يَثْقُ بِكَ غَيْرُهُ؟ ثُمَّ بَعَثَا رَسُولًا إِلَى سَلِيمَانَ شَاهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ^(١)، وَكَانَ بَزَنْجَانِ، وَحَلَفَا لَهُ وَحَلَفَ لَهُمَا، وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى هَمَذَانَ، فَهَرَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَصْبَهَانَ، فَأَجْلَسُوا سَلِيمَانَ شَاهٍ عَلَى تَحْتِ الْمُلْكِ، فَأَخَذَ فِي اللَّهْوِ وَالشُّرْبِ، وَسَاعَدَهُ وَزِيرُهُ فَخْرُ الْمُلْكِ أَبُو طَاهِرِ الْقَاشَانِيِّ، وَفَعَلَ كِفْعَلَهُ، فَضَاعَتِ الْمَمْلَكَةُ بَيْنَهُمَا، وَقَبِحَتِ السَّيْرَةُ، وَنَدِمَ إِيْلِدِكْزِ وَآقِ سُنُقُرِّ حَيْثُ كَاتِبَاهُ وَمَلَّكَاهُ، وَشَرَعَا فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَزِيرِهِ، فَلَمْ يَتِمَّكَنَا مِنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

المُظَفَّرُ بْنُ أَرْدَشِيرٍ^(٢)

أَبُو مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّادِيِّ الْوَاعِظِ.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ، وَوَعِظَ بِجَامِعِ الْقَصْرِ وَالنِّظَامِيَّةِ، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا، وَتَرَسَّلَ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ، فَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ أَنْ يُصَلِّحَ بَيْنَ مَلِكِ شَاهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ بَدْرِ الْحَوِيْزِيِّ، فَمَضَى وَأَصْلَحَ

(١) فِي (ع) وَ(ح)، مُحَمَّدٌ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ «مُخْتَصِرِ دَوْلَةِ آلِ سَلْجُوقٍ»: ٢١٤، وَ«الْكَامِلُ»: ١١/١٨٠، وَ«مَعْجَمِ الْأَنْسَابِ» لِزَامِبَاوَرٍ: ٣٣٤.

(٢) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «الْأَنْسَابِ»: ٣٣٧-٣٣٨، وَ«الْمُنْتَظَمُ»: ١٠/١٥٠-١٥١، وَ«الْكَامِلُ»: ١١/١٥٧ - وَفِيهِ وَفَاتُهُ سَنَةَ (٥٤٦هـ) - وَ«الْبَابُ»: ٢/٣١٠، وَ«سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ»: ٢٠/٢٣١-٢٣٢، وَفِيهِ تِمَّةٌ مَصَادِرُ تَرْجُمَتِهِ.

بينهما، وحصل له منهما مالٌ كثير، وتوفي بالْحُوَيْزَةَ^(١)، وقيل: بعسكر مُكْرَمٍ في ربيع الآخر، ثم حُمِلَ تابوته إلى بغداد، فدفن في دَكَّةِ الْجُنَيْدِ الشُّونَيْزِيَّةِ، ورجع ماله إلى السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّهُ خَلَّفَ وَلِداً صَغِيراً، فمات الولد، ولم يكن له وارث.

جلس المُظَفَّرُ يوماً في جامع القصر، فوقع مطر، فلجأ الجماعة إلى ظِلِّ العقود والجُدْران، فقال: لا تفروا من رشاشِ ماءِ رحمةِ قُطْرٍ عن مَتْنِ سحابِ نِعْمَةٍ، ولكن فُروا من شرارِ اقْتِدَحَتْ من زنادِ العُصْبِ.

وقام إليه شاعرٌ يمدحه، فقال له: اجلس. فقال: قد كان حَسَّانَ يمدح رسولَ الله ﷺ في المسجد. فقال المُظَفَّرُ: ما كان حَسَّانَ مستبيحاً عَرَضاً ولا مُسْتَمِيحاً عَرَضاً.

وقيل له: لِمَ آمن موسى عليه السَّلام وكفر فرعون، وكلاهما ارتضعا من دِرَّةٍ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٢)؟ فقال: لِأَنَّ موسى فاء، وفرعون قاء.

السنة الثامنة والأربعون وخمسة مئة

فيها انحَلَّ أمر بني سَلْجُوقِ باستيلاءِ العُزِّ على سنجر.

ذكر السبب: لما التقى خاقان ملك التُّرْكِ وخوازرُم شاه والعُزُّ بسنجر وكسروه، وعاد خاقان إلى بلاده وخوازرُم شاه إلى خوازرُم نَزَلَ العُزُّ بنواحي جِيحُونِ وَسَمَرَقَنْدِ بين التُّرْكِ وأعمال خوازرُم آمين، وبقي في قلب سنجر ما جرى عليه منهم، فالأمر بينهم موقوف، وقد صالح خوازرُم شاه، فجهَّز سنجر إلى العُزِّ العساكر مع الأمير قماج، فبيَّتْهم، وجاءهم على غِرَّةٍ، فكسروه، وقتلوا ولده، وغنموا ما كان معه، فعاد إلى سنجر مهزوماً، ثم ورد جماعةٌ من شيوخهم على سنجر، وقالوا: قد بعثت إلينا مرَّتين، ونصرتنا الله عليك، والبغي مصرعك، ونسألك إهدار ما جرى ونكون في

(١) موضع بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطائح. «معجم البلدان»: ٣٢٦/٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى سَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٧٢، قلت: وهذا التعليل ليس بشيء.